مركز حمورابي

الوضع الخطير الجديد في الشرق الأوسط: إيران وإسرائيل والتوازن الهش للفوضى

الوضع الخطير الجديد في الشرق الأوسط: إيران وإسرائيل والتوازن الهش للفوضى

بقلم: سوزان مالوني

ترجمة: صفا مهدي عسكر

مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية

15 كانون الاول 2024

حقوق النشر محفوظة لمركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية

لا يجوز نشر أي من هذه الابحاث والدراسات والمقالات الا بموافقة المركز، ويجوز الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا، وليس من الضروري ان تمثل المقالات والابحاث والدراسات والترجمات المنشورة وجهة نظر المركز وانما تمثل وجهة نظر الباحث

في الثالث من تشرين الاول عام 2023، ألقى المرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي خطابًا أمام حشد كبير من المسؤولين الحكوميين والزوار الدوليين في طهران، ومع اقترابه من ختام كلمته، تطرق خامنئي إلى (إسرائيل)** التي تعتبرها الجمهورية الإسلامية عدوها المعلن. مستشهدًا بآية من القرآن الكريم، أكد خامنئي أن الدولة اليهودية "ستموت بغيظها"، وذكّر الحضور بأن مؤسس الجمهورية الإسلامية روح الله الخميني وصف (إسرائيل) بأنها "غدة سرطانية". واختتم خطابه بتوقع: "سيتم القضاء على هذا السرطان بمشيئة الله، على أيدي الشعب الفلسطيني وقوى المقاومة في جميع أنحاء المنطقة".

بعد أربعة أيام، دوت صفارات الإنذار مع إطلاق صواريخ من غزة باتجاه جنوب (إسرائيل)، أعقب ذلك اقتحام أكثر من 1,000 مقاتل فلسطيني للحاجز الحدودي باستخدام دراجات نارية وجيبات ومن البحر عبر قوارب، ومن الجو باستخدام "الطائرات الشراعية بدون محرك"، وفي أقل من 24 ساعة قتل المسلحون 1,180 (إسرائيليًا) وأسروا 251 آخرين، وقد تسبب الهجوم الذي واجهته (إسرائيل) برد عسكري (إسرائيلي) عنيف ضد قيادة حماس وقتل آلافًا من مقاتليها، بينما أودى بحياة عشرات الآلاف من المدنيين الفلسطينيين ودمر البنية التحتية لغزة.

على الرغم من أن طهران لم تشارك بشكل مباشر في هجوم 7 تشرين الأول، إلا أن قادتها سارعوا لاستغلال تداعياته لتحقيق نبوءة خامنئي، وفي البداية اتبعت إيران نهجها المعتاد، حيث أظهرت موقفًا دبلوماسيًا ضد التصعيد بينما شجعت حلفائها على مهاجمة (إسرائيل). ولكن في 13 نيسان، غيرت القيادة الإيرانية مسارها، حيث شنت وابلًا ضخمًا من الصواريخ والطائرات المسيرة على (إسرائيل)، وهي المرة الأولى التي تهاجم فيها إيران الأراضي (الإسرائيلية) بشكل مباشر انطلاقًا من أراضيها.

تمكنت (إسرائيل) بالتعاون مع الولايات المتحدة، من صد بعض تلك الضربات

** لمقتضيات الأمانة العلمية، وضرورات الترجمة الدقيقة، تم الإبقاء على كلمة (إسرائيل)، وهو لا يعني اعتراف المركز بها، وما هو مكتوب يمثل راي وأفكار المؤلف.

ثم شنت (إسرائيل) هجمات مضادة على إيران ووكلائها دون أن تتسبب في تصعيد إضافي، مما ساعد على احتواء الوضع، وسقوط نظام الرئيس السوري بشار الأسد عزز من التفوق (الإسرائيلي). ومع ذلك، يشير التاريخ إلى أن الجمهورية الإسلامية من غير المرجح أن تتراجع، وبدلاً من ذلك فإن تطبيع الصراع العسكري المباشر بين إيران و(إسرائيل) يمثل تحولًا زلزاليًا يؤدي إلى توازن غير مستقر للغاية.

خفض عتبة الضربات المباشرة رفع احتمالية اندلاع حرب شاملة بين أقوى دولتين في الشرق الأوسط، مثل هذه الحرب قد تجذب الولايات المتحدة وتترك آثارًا مدمرة على المنطقة والاقتصاد العالمي، وحتى إذا لم تندلع حرب كهذه فقد تسعى إيران إلى حماية نفسها عبر امتلاك سلاح نووي، مما قد يؤدي إلى موجة انتشار نووي أوسع. ولذلك، سيكون منع هذا السيناريو تحديًا أساسيًا للرئيس الأمريكي المنتخب دونالد ترامب، الذي يجب أن يوظف نهجه الفوضوي لصياغة اتفاق إقليمي.

قوة صاعدة

لم تكن إيران و(إسرائيل) دائمًا عدوين لدودين، ففي ظل حكم محمد رضا شاه بهلوي الذي حكم إيران لعقود حتى الثورة في عام 1979، أقامت طهران علاقة أمنية واقتصادية تعاونية ومفيدة للطرفين مع الدولة اليهودية، من جانبها سعت القيادة (الإسرائيلية) إلى تقوية العلاقات مع إيران لتخفيف عزلتها الدولية ومواجهة عداء جيرانها العرب.

لكن الثورة الإيرانية قلبت هذه العلاقة رأسًا على عقب فقد احتقر حكام إيران الجدد، الذين جاءوا من رجال الدين الشيعة، (إسرائيل). البعض منهم، الذين تأثروا بنظريات المؤامرة المعادية للسامية، كانوا يرون (إسرائيل) كعدو كافر، (وكانت العلاقات بين الشاه و(إسرائيل) في الواقع من العوامل التي ساعدت في تحفيز المعارضة الدينية لحكمه) وقبل الثورة في خطبة مشهورة عام 1963 أدت إلى نفيه من إيران، هاجم الخميني (إسرائيل) بوصفها عدوًا للإسلام والطبقة الدينية في إيران، واستمر في نسج نفس هذه المواضيع في خطاباته بعد أن رفعته الثورة إلى منصب رئيس الدولة.

تحت قيادة الخميني، دمجت الجمهورية الإسلامية هذه الكراهية العميقة تجاه (إسرائيل) مع عزيمة على قلب النظام الإقليمي ومساعدة الشعوب المظلومة، خاصة الفلسطينيين. بدأت طهران هذه العملية بالتدخل في لبنان، الذي كان يعاني من حرب أهلية طويلة عندما أصبحت إيران دولة دينية، وبعد غزو (إسرائيل) للبنان في 1982، قدمت إيران مساعدات عسكرية وتقنية للجماعات الشيعية اللبنانية مثل حزب الله، مطورة نموذجًا لتهديد خصومها ع، كما بدأت إيران في دعم القضية الفلسطينية كوسيلة لكسب قلوب وعقول المسلمين السنة في الشرق الأوسط الذين كان لديهم القليل من الأسباب للوقوف إلى جانب نظام شيعي ايديولوجي.

وبينما اعتادت (إسرائيل) على التعامل مع الشاه، سعت في البداية إلى إقامة علاقات هادئة مع الدولة الثورية الإيرانية، التي كانت تراها غير مستقرة وقصيرة الأمد. حتى أن المسؤولين (الإسرائيليين) حافظوا على قناة

ضخمة لتوريد الأسلحة إلى طهران بعد حرب الرئيس العراقي صدام حسين مع ايران في عام 1980، على أمل تعزيز قادة إيران المعتدلين وإطالة أمد النزاع ضد بغداد، (كانت (إسرائيل) ترى أن العراق يمثل تهديدًا أكبر) لكن هذه المحاولة انتهت بشكل سيء بعد تورط المسؤولين الأمريكيين، الذين سعوا إلى استخدام مبيعات الأسلحة الأمريكية إلى طهران - بما في ذلك الأسلحة المباعة من قبل (إسرائيل) - لتحفيز طهران على مساعدتهم في تحرير الرهائن الأمريكيين في الشرق الأوسط ولتمويل عمليات سرية لصالح المتمردين الكونترا في نيكاراغوا. وكانت النتيجة فضيحة محرجّة لإدارة ريغان، مما ساعد في تصلب النظام الثوري الإيراني، ومن خلال هذه الفضيحة، تم القضاء على أي أوهام (إسرائيلية) بشأن أن إيران الثورية قد تكون زائلة أو غير تهديد.

مع نهاية حرب إيران والعراق في 1988، أصبحت إيران قادرة على تحدي (إسرائيل) بشكل أكثر جدية، ورغم أن الجمهورية الإسلامية خرجت من هذا الصراع منهكة وفقيرة، إلا أن القتال ساعد النظام الديني في ترسيخ قبضته على السلطة، كما أن ذلك يعني أن الجيش الإيراني كان بحاجة إلى مهمة جديدة. ومع أن (إسرائيل) والفلسطينيين قدما خطوات مترددة نحو حل النزاع وحل الدولتين في التسعينيات، وسعت إيران إلى تعزيز استثماراتها في المعارضة العنيفة لعملية السلام و(لإسرائيل) بشكل عام، كما تسارعت جهود إيران لإحياء برنامجها النووي ما قبل الثورة.

ساعدت الأحداث في العقد التالي على تعزيز النظام الإيراني، فقد أطاحت التدخلات العسكرية الأمريكية في أفغانستان والعراق باثنين من أعداء إيران الأقربين، وهما طالبان وصدام، مما منح إيران مزيدًا من الحرية في المناورة. كما عززت هذه العمليات شعور طهران بالبارانويا بأن واشنطن تسعى إلى التضييق على ايران، مما زاد من تصميم النظام على إخراج القوات الأمريكية من المنطقة، ونتيجة لذلك أصبحت إيران أكثر قدرة واستعدادًا لتسليح شبكة وكلائها، بما في ذلك من خلال توفير الأسلحة للمسلحين الفلسطينيين.

خلال هذه الفترة بدأ يظهر الطموح النووي الإيراني بشكل كامل ففي عام 2002، كشف أحد مجموعات المعارضة الإيرانية عن مواقع نووية لم تكن قد أُعلنت من قبل، والتي كانت مخصصة لإنتاج وقود يمكن استخدامه في الأسلحة، في انتهاك لالتزامات طهران بموجب معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية. بالنسبة (لإسرائيل) وروسيا والولايات المتحدة وغيرها من القوى الكبرى، كانت هذه الاكتشافات تأكيدًا على أن الجمهورية الإسلامية كانت تطور البنية التحتية للحصول على أسلحة نووية وربما نقلها إلى وكلائها وشركائها. وفي النهاية، أحالت الوكالة الدولية للطاقة الذرية القضية إلى مجلس الأمن الدولي، مما أسفر عن فرض مجموعة غير مسبوقة من العقوبات الاقتصادية المتعددة الأطراف على إيران.

على الرغم من أن هذه القيود أثرت على الاقتصاد الإيراني إلا أنها لم تعطل صعودها الإقليمي، الذي ساعدته أحداث الربيع العربي في 2010-2011، في البداية شكلت ثورات الربيع العربي والحروب الأهلية في الشرق الأوسط تحديًا للجمهورية الإسلامية، خاصة عندما هددت الاضطرابات أحد شركائها الأكثر أهمية - نظام الأسد لكن مع مساعدة من حزب الله وروسيا، تمكنت إيران من دعم الأسد لأكثر من عقد من الزمان، من خلال

تعزيز موقعها في سوريا تمكنت طهران أيضًا من ضمان بقاء حزب الله القوة المهيمنة في لبنان، مما وسع ترسانة المجموعة من الصواريخ الموجهة بدقة والصواريخ بالإضافة إلى وسائل إنتاجها. كما استفادت إيران من الفوضى الإقليمية المتزايدة، مثل الحرب الأهلية في اليمن، لتعزيز نفوذها وتحسين قدرات شركائها، وبحلول نهاية العقد، كانت طهران قد طورت القدرة على توجيه القوة عبر الشرق الأوسط وتنسيق شبكة حلفائها.

اللعب بالنار

راقبت (إسرائيل) بحذر تزايد قدرات إيران ولكنها تجنبت على مدى سنوات مهاجمة البلاد بشكل مباشر رغم العديد من التهديدات وفي عام 2012، نجحت إدارة أوباما في إقناع رئيس الوزراء (الإسرائيلي) بنيامين نتنياهو بعدم شن ضربات ضد البرنامج النووي الإيراني، وبعد ذلك وقعت إيران مع واشنطن وخمس قوى عالمية أخرى اتفاقًا في عام 2015 للحد من البرنامج النووي الإيراني، رغم الضغوط الكبيرة التي مارستها القيادات (الإسرائيلية).

بدلاً من الهجوم المباشر لجأت (إسرائيل) إلى استراتيجيات مبتكرة وفعالة، من خلال العمليات السرية والهجمات الإلكترونية، استهدفت (إسرائيل) المنشآت النووية الإيرانية الرئيسية. كما اغتالت علماء نوويين وضباطًا عسكريين، وسرقت وثائق تكشف عن الأنشطة النووية الإيرانية التي كانت طهران تحاول إخفاءها، الأهم من ذلك أن (إسرائيل) أنشأت شبكة استخبارات قوية أبقت النظام الإيراني في حالة من الارتباك المستمر.

كما سعت (إسرائيل) إلى ممارسة الضغط على إيران من خلال مهاجمة حلفائها مباشرة وتوجيه ضربات لموارد إيران خارج أراضيها، بدأ هذا في عام 2013 بقصف خطوط إمداد حزب الله في سوريا، ثم تحول في عام 2017 إلى حملة عسكرية منظمة ضد الأصول والوكلاء الإيرانيين في أنحاء المنطقة. حققت هذه الحملة العديد من الاصابات مثل الضربات التي استهدفت مستودعات اسلحة في العراق تابعة لفصائل الحشد الشعبي العراقي ، ومرافق إنتاج الصواريخ في لبنان، والمقاتلين المدعومين من إيران في سوريا. ومع ذلك، ورغم أن (إسرائيل) حافظت على تحركاتها دون الوصول إلى حد الاستفزاز الذي قد يؤدي إلى رد فعل إيراني واسع، إلا أنها لم تتمكن من إلحاق انتكاسات حاسمة بإيران أو حزب الله.

تزامن تصعيد (إسرائيل) في إيران وسوريا مع ولاية الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الأولى، حيث تبنت واشنطن سياسة أكثر تشددًا تجاه إيران، فقد انسحب ترامب من الاتفاق النووي الإيراني في 2018 وفرض عقوبات اقتصادية شديدة على طهران، في محاولة للحصول على تنازلات كبيرة منها.

كانت استجابة إيران مرنة ومدروسة ففي العام الأول من العقوبات، أظهرت القيادة الإيرانية ضبط نفس ملحوظ، ثم تحولت بشكل كبير وبدأت في شن سلسلة من الهجمات المضادة، بما في ذلك استهداف شحنات نفط في الخليج العربي ومنشآت نفطية سعودية. لم تكن هذه الهجمات أعمال عنف عشوائي، بل كانت تهدف

إلى تغيير حسابات واشنطن ودفعها إلى إنهاء سياسة "الضغط الأقصى". ورغم أن طهران لم تحقق فارقا ملحوظا في تغيير سياسة واشنطن، إلا أن من وجهة نظرها كانت تلك المناورات ناجحة، حيث أظهرت استعدادها لفرض تكاليف حقيقية على الدول التي تعارضها.

أما الهجمات المتبادلة بين إيران و(إسرائيل)، فقد اتبعت منطقًا مشابهًا مما نقل الحرب بين البلدين إلى مرحلة جديدة، فبعد أن قصفت (إسرائيل) مبنى قنصلية إيرانية في سوريا في نيسان، شنت إيران هجومًا غير مسبوق بإطلاق أكثر من 350 صاروخًا باليستيًا وصاروخ كروز وطائرات مسيرة ضد (إسرائيل). كان الهجوم محسوبًا بشكل دقيق وكان موجهًا لإرسال رسالة واضحة. فقد كانت إيران قد أعلنت الهجوم مسبقًا وبفضل مساعدة الدول العربية المجاورة، تمكنت (إسرائيل) من صد الهجوم، لكن الهجوم المنسق بالصواريخ والطائرات المسيرة لم يكن مجرد استعراض للقوة، كما قال الرائد بنيامين كوفي أحد الطيارين الأمريكيين الذين ساعدوا في التصدي للهجوم: "لم يكن هذا عرضًا صغيرًا أو استعراضًا للقوة، بل كان هجومًا مصممًا لإلحاق أضرار كبيرة للقتل وللتدمير".

في ايار 2024، تسبب حادث مروحية أدى إلى وفاة الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي في تشتت انتباه القيادة الايرانية مما أدى إلى توقف مؤقت في التصعيد، ولكن سرعان ما تجدد النزاع حيث اغتالت (إسرائيل) في اب القيادي في حماس إسماعيل هنية في بيت ضيافة إيراني في طهران، بعد ساعات من لقائه مع خامنئي وحضوره مراسم تنصيب الرئيس الإيراني الجديد مسعود بزشكيان. بعد أقل من شهرين، تصاعدت الأمور في لبنان، حيث دمرت (إسرائيل) بعض قدرا حزب الله في الاتصالات. باستخدام التحكم عن بعد، فجرت (إسرائيل) متفجرات صغيرة كانت قد زرعتها سرًا في آلاف من أجهزة الإرسال الخاصة بعناصر حزب الله، مما أدى إلى تعطيل القيادة والسيطرة في صفوف الجماعة. ثم اغتالت القوات (الإسرائيلية) اهم قادة حزب الله الرفيعي المستوى، بما في ذلك زعيمه السيد حسن نصر الله، ودمرت جزءًا مهم من أسلحة الحزب.

أسفرت هذه الضربة عن إضعاف حزب الله مما أدى إلى تراجع قوة إيران بشكل ملحوظ، على مدار أكثر من 40 عامًا كان حزب الله هو الطرف الاقوى من حلفاء إيران في المنطقة، ونواة لشبكتها الواسعة من الوكلاء والشركاء، وكانت ترسانة الحزب من الصواريخ تمثل خط الدفاع الأول لإيران. وقد أحدث تدمير هذه الأداة الحيوية حتى وإن كان بشكل مؤقت، ضررًا لمكانة إيران وقوتها في المنطقة. وكان فقدان نصر الله خسارة كبيرة للقيادة الإيرانية، حيث كان نصر الله يعد بمثابة الرفيق المقرب لخامنئي وكان الوحيد في المنطقة الذي اعتبر خامنئي مرشده الروحي، ويمتاز بحنكة سياسية عالية وروح تحدي منقطع النظير.

من المتوقع وربما كان أمرًا حتميًا، أن ترد طهران على وفاة نصر الله بالقوة، كما حدث مع إطلاق دفعة جديدة من الصواريخ في 1 تشرين الأول، بعد فترة من الترقب القصير شنت (إسرائيل) ضربات جوية وصاروخية ضد الدفاعات الجوية الإيرانية وبرامجها الصاروخية والطائرات المسيرة، دون أن تؤدي إلى رد فعل إيراني مباشر

ضد الضربة، إلى جانب ان انهيار النظام السوري بقيادة الأسد، أدت إلى الحاق الضرر بالاستراتيجية الإقليمية الإيرانية.

الرغبة في التدمير

حتى الآن منحت الهجمات المباشرة بين إيران و(إسرائيل) وتحول الوضع في سوريا ولبنان وغزة ميزة استراتيجية للأخيرة، لقد تم تدمير قدرات إيران الدفاعية والهجومية على حد سواء، حيث تبدو (إسرائيل) أقوى من السابق، وقد أظهرت هذه الحرب أن بعض الحكومات العربية على استعداد للانضمام إلى الدولة اليهودية لردع إيران رغم تعاطف الشعوب العربية مع الفلسطينيين.

ومع ذلك تواجه كل من إيران و(إسرائيل) والمنطقة بشكل عام وضعًا صعبًا، فعلى الرغم من وضع اسرائيل الجيد لكن القادة الإيرانيين و(الإسرائيليين) يعتقدون أن التهديد الذي يشكله الطرف الآخر لا يزال وجوديًا وغير قابل للتراجع، في خطابهم العلني تسعى كل من الحكومتين لإظهار أن الآخر على وشك الانهيار. بعد ضربتها على إيران في تشرين الاول، تباهى نتنياهو قائلاً: "(إسرائيل) اليوم تتمتع بحرية عمل أكبر في إيران من أي وقت مضى، يمكننا الوصول إلى أي مكان في إيران حسب الحاجة". ولكن بالنسبة للمرشد الايراني السيد علي خامنئي، فإن بعض خسارة الحلفاء الإيرانيين لا تعني شيئًا، ففي روايته يعتبر حماس وحزب الله منتصرين ببساطة لأنهم نجوا، ويعتبر تدمير (إسرائيل) مسألة وقت فقط، وقال في أوائل تشرين الثاني: "سيشهد العالم والمنطقة اليوم الذي يتم فيه هزيمة النظام الصهيوني بوضوح".

نظرًا لخسائر إيران الملحوظة بعد مقتل السيد حسن نصر الله وقادة حماس والاطاحة ببشار الاسد وارتفاع حساسيتها الداخلية قد تكون هذه المواقف مجرد تصرفات عنترية، وإذا كانت طهران جادة فقد تكون القيادة الإيرانية قد أخطأت في تقديراتها بشكل خطير ومع ذلك، على مدار الـ 45 عامًا الماضية نجحت القيادة الإيرانية في التكيف مع العديد من الخسارات بمرونة غير متوقعة. اثنان من أسرار نجاح النظام الإيراني هما ميله لاحتضان العدوان تحت الضغط واستعداده للعب اللعبة الطويلة: التراجع أو التحول عند الحاجة، واستخدام موارده وعلاقاته بشكل مبتكر، والقيام بهجمات غير متكافئة لتحقيق النفوذ على خصومه الأقوى وقد تقوم إيران بذلك مرة أخرى اليوم. وفي المستقبل لفرض نفسها كقوة اقليمية لا يمكن تجاوزها

لنلق نظرة على سجلها في كانون الثاني 2020، قامت إدارة ترامب باغتيال قاسم سليماني قائد قوة القدس التابعة للحرس الثوري الإيراني، وهو الفرع المسؤول عن إدارة العلاقات مع حلفاء إيران ووكلائها. في البداية، بدا أن مقتله كان كارثة رمزية وعملياتية لطهران، بالنظر إلى الأهمية الكبيرة التي كان يتمتع بها في السياسة الخارجية الإيرانية. ومع ذلك، كانت وفاته في النهاية لها تأثير ضئيل على قوة وفعالية محور المقاومة الإيراني. على غرار ذلك، في عام 1992، عندما اغتالت (إسرائيل) عباس الموسوي، زعيم حزب الله في ذلك الوقت، مهد

ذلك الطريق لصعود نصر الله، الذي أثبت أنه خصم أكثر فاعلية وقوة. وبعد شهر من اغتيال الموسوي، رد حزب الله بتنفيذ تفجير مميت استهدف سفارة (إسرائيل) في الأرجنتين.

ورغم هذه الخسائر لكن إيران ليست بالضرورة أقل خطورة فقد صرح حسين سلامي، قائد الحرس الثوري الإيراني (لإسرائيل) في تشرين الثاني: "إيران ستواجهكم حتى النهاية لن نسمح لكم بالتحكم في مصير المسلمين ستتلقون ضربات مؤلمة - انتظروا الانتقام"، قد يكون هذا مجرد تهديد تقليدي من إيران لكن سيكون من الخطأ وبعيدًا عن سابِقاته التاريخية أن نفترض أن التراجع الاستراتيجي الكبير سيدفع إيران إلى الاستسلام.

هناك أيضًا إشارة على أن إيران قد ترفع من حدة التصعيد لموازنة ضعفها الجديد، ولأول مرة منذ عقدين بدأت أصوات مهمة داخل البلاد تدعو إلى تبني إيران للأسلحة النووية، وفي الماضي كان العديد من كبار المسؤولين الإيرانيين بما في ذلك وزير خارجية سابق ورئيس وكالة الطاقة الذرية الإيرانية السابق، قد ألمحوا إلى أنهم قد وصلوا إلى القدرة على إنتاج سلاح نووي لكنهم اختاروا عدم المضي قدمًا في ذلك. في تشرين الثاني 2024، قال وزير الخارجية الإيراني عباس عراقجي إن بعض المسؤولين المؤثرين في النظام يرون أن ضبط النفس في هذا الشأن يعد ضربًا من الانتحار السياسي، كما طلب المتشددون في البرلمان الإيراني من خامنئي إعادة النظر في قراره الديني الذي يحظر تطوير الأسلحة النووية. إذا كانت قواعد اللعبة قد تغيرت منذ 7 تشرين الاول، فإن عقيدة الدفاع الإيرانية قد تشهد تطورًا مشابهًا، وقد يؤدي وجود إدارة ترامب المتشددة التي تدعم (إسرائيل) بلا حدود، إلى تسريع الجدول الزمني النووي الإيراني ودفع طهران إلى تبني الأسلحة النووية علنًا، وهو أمر كانت الحكومة الإيرانية تتجنب القيام به لعقود.

وكيل الفوضى

ستبدأ الإدارة الثانية لترامب ولايتها بعزم على تشديد الضغط على طهران كما فعلت إدارته الأولى، فقد وعد فريقه القادم بتكثيف الضغط الاقتصادي على الجمهورية الإسلامية، بينما حذر ترامب نفسه الإيرانيين من أنه "سيفجر أكبر مدنكم وبلدكم بأسره إذا حاولتم اغتيالي"، حسبما أفادت تقارير إعلامية متعددة.

وفي الوقت نفسه شن مستشار الأمن القومي القادم (مايك والتز) هجومًا على الرئيس جو بايدن بسبب فرضه قيودًا على (إسرائيل) أثناء حربها في غزة، وبخلاف إدارة بايدن قد يكون لدى فريق ترامب أقل اهتمام بعواقب محاولة مستمرة لتقليص قدرات الحوثيين في اليمن والفصائل المسلحة في العراق. إذا حدث ذلك فقد يتجه الوضع في المنطقة إلى مزيد من الفوضى، إذ إذا قامت (إسرائيل) أو الولايات المتحدة بتصعيد الهجمات في العراق واليمن، قد يؤدي ذلك إلى زعزعة استقرار العراق ويدفع الحوثيين لاستهداف شركاء الولايات المتحدة في المنطقة، مثل الأردن والسعودية والإمارات. وقد يزيد هذا من تعقيد خطة تقليص القوات الأمريكية في العراق ويترك فراغًا في السلطة في قلب العالم العربي، وهو ما قد تسعى طهران والجماعات الأخرى لاستغلاله، كما أن

حالة عدم اليقين بشأن مستقبل لبنان وسوريا قد تزيد من تعقيد الوضع، لكن سياسة ترامب قد تكون أكثر تعقيدًا من مجرد مواجهة ثابتة.

في البداية، سيجد الفريق الجديد أن الأدوات المتاحة له ستكون أقل فعالية مما كانت عليه أثناء فترة ترامب الأولى، على سبيل المثال نجحت عقوبات "الضغط الأقصى" في تقليص صادرات النفط الإيرانية والإيرادات بفضل التعاون مع الصين، لكن الصين قد تكون أقل استعدادًا لتكرار هذا التعاون. كما أن شبكات تهريب النفط الإيراني إلى الصين أصبحت أكثر تعقيدًا، مما يجعل من الصعب التصدي لها باستخدام العقوبات فقط. كما أن أي ضغط اقتصادي جديد قد يواجه مقاومة من حلفاء واشنطن في الخليج، الذين باتوا يفضلون التعايش مع طهران بدلًا من مواجهتها.

ثم هناك آراء ترامب الخاصة حول إيران، الرئيس المنتخب أشار إلى أن هناك استراتيجية وراء تصرفاته وأنه يرغب في التوصل إلى اتفاق مع طهران خلال حملته الانتخابية في 2024، رفض ترامب دعوات تغيير النظام وأكد أنه يريد لإيران أن "تكون دولة ناجحة جدًا"، كما أشار مؤخرًا إلى أنه إذا فاز في انتخابات 2020، كان سيتوصل إلى اتفاق مع طهران "في غضون أسبوع بعد الانتخابات". ومن الواضح أن ترامب قد منح الضوء الأخضر للتواصل المبكر مع المسؤولين الإيرانيين هذه المرة، حيث أرسل أحد مستشاريه المقربين، الملياردير إيلون ماسك، للقاء سفير إيران في الأمم المتحدة في تشرين الثاني.

من المرجح أن تتبنى الإدارة الجديدة نهجًا أكثر مرونة فيما يتعلق بطموحات (إسرائيل) الإقليمية، ومع ذلك يقول ترامب أيضًا إنه يريد إنهاء الحرب في غزة وتوسيع اتفاقات إبراهيم بإضافة السعودية إليها، كما يسعى لتجنب المزيد من الالتزامات العسكرية الأمريكية مع خفض أسعار الطاقة، وخلق وضع أكثر خضوعًا للصين وإنهاء البرنامج النووي الإيراني. لكن هذه الأهداف تتطلب توازنًا دقيقًا وستستلزم استراتيجية أكثر تعقيدًا من مجرد مهاجمة إيران ووكلائها، إذا كانت التجربة السابقة تشير إلى المستقبل، فإن النهج الذي سيتبعه ترامب سيكون على الأرجح مؤثرًا، خاصة أن بعض أهدافه قد تكون متناقضة. قد لا يكون هذا هو الوصفة المثلى للاستقرار في الشرق الأوسط، لكن الفوضى غير التقليدية وغير المتوقعة التي قد تفرزها رئاسة ترامب قد تكون هي ما تحتاجه المنطقة الآن، إذ قد تنجح الولايات المتحدة التي لا تقيدها أي التزامات مبدئية أو توقعات ثابتة، في استخدام قوتها العسكرية جنبًا إلى جنب مع سياسة "الصفقات" الشفافة. لتحقيق النجاح سيتعين على ترامب إدارة الاختلافات والآراء المتنوعة بين أعضاء إدارته، ولكن التقييم الواقعي للوضع الإقليمي يقدم بعض المؤشرات حول كيفية تقدم ترامب في هذا السياق، قد يبدأ كما فعل في ولايته الأولى، في الخليج. تسعى دول الخليج بشكل حثيث إلى إنهاء الحرب في غزة، وهو ما يخدم مصالحها الاقتصادية والأمنية وكذلك مصالح (إسرائيل)، وقد أجرت الإمارات العربية المتحدة محادثات مع واشنطن حول المساعدة في إقامة حكومة فلسطينية ما بعد الحرب في غزة، بالإضافة إلى تأمين تمويل لإعادة الإعمار والأمن. يمكن لترامب أن يواصل هذه المحادثات ويستخدمها للمساعدة في إنهاء الحرب، كما يمكن لدول الخليج أن تساعد ترامب في

التوصل إلى اتفاق جديد مع إيران، حيث تمتلك كل من السعودية والإمارات قنوات اتصال قوية مع طهران، وهو ما يمكن أن يستفيد منه ترامب.

من المؤكد أن العالم العربي سيرحب باتفاق يمنع اندلاع حرب شاملة قد تكون لها عواقب كارثية، إلا أن تلاقي هذه المصالح مفيد لكنه ليس كافيًا لتحقيق النتائج التي يسعى إليها ترامب، في هذه النقطة يمكن أن تكون تقلبات ترامب وقسوته من العوامل التي قد تُعتبر أصولًا غير متوقعة. إذا أعاد ترامب فرض الضغط الاقتصادي على إيران وأعطى (إسرائيل) مزيدًا من الحرية العسكرية، فقد يتمكن من إظهار قدرات الولايات المتحدة ويدفع إيران إلى التراجع عن مواقفها المتصلبة، وقد أثبتت السياسة الأمريكية الصارمة نجاحها في الماضي مع القيادة الإيرانية التي تركز على بقاء النظام. ومن المرجح أن يكون هذا النهج أفضل من سياسة إدارة بايدن، التي اعتمدت على التوفيق، وهو ما اعتبرته إيران ضعفًا ويأسًا، قد تؤدي هذه التحولات إلى اتفاق حقيقي يقلل من حدة الصراعات في الشرق الأوسط، ويخلق أفقًا سياسيًا لإعادة إعمار الفلسطينيين واللبنانيين، ويؤدي إلى بعض التنازلات الرمزية من طهران بشأن برنامجها النووي وتدخلاتها الإقليمية.

ومع ذلك سيكون التوصل إلى هذا الاتفاق أمرًا بالغ الصعوبة، فخلال ولايته الأولى فشلت دبلوماسية ترامب غير التقليدية مع كوريا الشمالية القوة النووية الأخرى المتعنتة، في تحقيق نتائج ملموسة، وبشكل عام حققت إدارته عددًا محدودًا من الإنجازات في التعامل مع القوى المعادية. حتى إذا تم التوصل إلى الاتفاق، فإن استمراره على الأرجح سيكون محدودًا، فإيران قيادة غارقة في عدائها (لإسرائيل) وللولايات المتحدة واستثمارها في برنامجها النووي وشبكة وكلائها كان أساسًا لاستراتيجية بقائها. من جهته، اكتشف نتنياهو أن النهج العسكري التوسعي يحقق فوائد استراتيجية هائلة وأرباحًا سياسية محلية، بالإضافة إلى أن هناك العديد من العوامل المعرقلة في هذه المنطقة المتفجرة.

حتى وإن كانت هذه التفاهمات مؤقتة إلا أنها قد تساهم في تهدئة الأوضاع في الشرق الأوسط، مما يسمح للولايات المتحدة وبقية دول العالم بتحويل انتباههم نحو تحديات أكبر، مثل الصين وروسيا. وأي اتفاق من شأنه أن يقلل من إراقة الدماء ويخفف من المخاطر، حتى وإن كان بشكل مؤقت

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

أسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية في 25-4-2012 بمدينة بابل(الحلة)، كمركز علمي بحثي يمتد الى دراسة الموضوعات السياسية و المجتمعية بصورة علمية و استراتيجية، فضلاً عن التركيز على القضايا والظواهر الحادثة والمحتملة قي الشأن المحلي والأقليمي والدولي ، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

www.hcrsiraq.net

07810234002

hcrsiraq@yahoo.com

t.me/hammurabicrss

مركز حمورابي للبحوث والدراسيات الاستراتيجية

hcrsiraq

العراق - بغداد- الكرادة